الْخِطَابُ الْقُرْآنِي (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ) وَالْقِيَمُ الْإِنْسَانِيَّةُ

د. محمد أوحيدة أحمد
الأكاديمية الليبية/ مصراتة/ ليبيا
iwhida63@gmail.com

المُلخَّص:

يتناول هذا البحث القيم الإسلاميَّة المتعلِّقة بالإنسان كونه كائناً خلقه الله – سبحانه وتعالى – وميَّزه بالعقل والاستخلاف في الأرض وحمل الأمانة، وبيان أنَّ هذه القيم متأصِّلة في فطرة الله التي فطر الناس عليها، وإبرازها في سياقها الصحيح والمفيد؛ وذلك بجعلها ثقافة سائدة في المجتمع، وترجمة هذه القيم إلى واقع ملموس؛ قصد الإسهام في إثراء الثقافة الإنسانيَّة.

كما يعرض البحث تطبيقات عمليَّة لمنظومة القيم الإنسانيَّة في الإسلام التي هي منهاج عمل للمسلم الذي أنعم الله عليه بنعمة الإسلام ليطبقها عمليًّا؛ بحيث يكون مسلكه مطابقاً لعقيدته، وإيصال هذه الرسالة للآخر؛ لتحقيق الطمأنينة ونشر الفضيلة.

الكلمات المفتاحيَّة: الإنسان، الخطاب القرآني، القيم الإسلاميَّة.

The Qur'anic discourse (Oh' Man) and human values

Dr. Mohamed Iwhida Ahmed
iwhida63@gmail.com

Abstract:

This research deals with the Islamic values related to the human being who was created by God Almighty, distinguished by reason and succession (khalifa) on earth, and to show that these values are rooted, and to highlight them in their correct and beneficial context; By making it a dominant culture in society, and translating these values into a tangible reality; in order to contribute to the enrichment of human culture.

The research also presents practical applications of the human values system in Islam, which is a platform of action for the Muslim, whom God has blessed him with the blessing of Islam to implement in practice. So that his conduct is in accordance with his belief, and the delivery of this message to the other; to achieve peace and spread virtue.

Keywords **:** Human being,Qur'anic call, Islamic values.

المقدِّمة:

الحمد لله رب العالمين، الهادي إلى الصراط المستقيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الذي بعثه الله إلى العالمين هادياً وبشيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

إنَّ من يتدبر الخطاب القرآني يرى أنَّ في رسالته شمولاً وعموميَّة؛ ويشمل الخطاب القرآني أصناف الناس على تنوُّع عقائدهم وألسنتهم وأعراقهم، فلا ريب أنَّه كتاب الله — تعالى – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المرجع الأساس للبشر، والإنسان لا يمكن أن يستغنى عن هدايته – سبحانه وتعالى –، والتي ليس له من سبيل للعيش بطمأنينة وأمان إلَّا باتباع ما جاء به الأنبياء والمرسلون، والذين كان خاتمهم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم الذي بعثه العلي القدير برسالة الإسلام للعالمين أجمعين؛ ذلك لأنَّ أمورًا في هذا الكون لا يستطيع الإنسان إدراكها بعقله المجرَّد وتفكيره المطلق؛ فمهما وصل الإنسان من درجات العلم والتفوُّق والنبوغ فإنَّه سيبقى عاجزاً أمام مسائل عديدة، وسيظل قاصراً عن فهم أشياء كثيرة، ولقد اقتضت حكمته – سبحانه وتعالى – أن يرسل الرسل والأنبياء للهداية إلى الحق والصواب، وللإرشاد إلى الطريق المستقيم.

ولقد عقدت العزم بعون الله — تعالى – وتوفيقه على محاولة الكتابة عن الخطاب القرآني الموجه إلى الإنسان في كل مكان وزمان في نداءه – سبحانه وتعالى –: (يا أيها الإنسان)، وذلك من خلال هذا البحث المتواضع لمدلول هذا الخطاب القرآني، وأهميته في الحقل الدعوي؛ ذلك أنَّ القرآن الكريم بما يحمله من قيم ومُثل هو أساس البنيان المتين الذي يرشد الإنسان إلى السبيل الذي من شأنه أن يقدِّر الإنسان أخيه الإنسان حق قدره في وقت يشهد فيه العالم صراعات متعدِّدة وسط تيه لا يمكن تلمس طريق الهداية منه إلَّا عن طريق نور الإسلام.

أولاً: أهميَّة البحث:

تنطلق أهميَّة البحث من إنَّ التأمل في سياق الحديث عن الإنسان في القرآن الكريم يبيّن هويَّة الإنسان في الخطاب القرآني؛ وهو ذلك المخلوق المكرَّم على سائر المخلوقات، حيث أمر – سبحانه وتعالى – الملائكة بالسجود له، وشرفه بالخلافة على هذه الأرض، وأنَّه المخلوق الذي أمدَّه جلت قدرته بالعقل والتفكير والبيان، والقدرة على إدارة الأمور، وحمْل الأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها، وهذه المسائل هي ما سنحاول إظهار أهميتها في هذا البحث بصورة معمَّقة؛ لنبيِّن أنَّ الضمير الإنساني مهما وصل من درجات السمو فإنَّه لا يفيد نفسه ولا يفيد غيره ما لم توجد مرجعيَّة فوق طاقات وقدرات العقل البشري تهدي الإنسان إلى الطريق المستقيم، وإن القرآن الكريم هو الدليل الذي يرشد الإنسان إلى كل ما من شأنه أن يفيده في الدارين.

ثانياً: إشكال البحث:

العادة أنَّ الإنسان يتوق إلى معرفة كل ما يدور حوله، ولكن غالباً ما ينسى أو يتشاغل عن التفكر في نفسه، ولعلَّ أهم أسباب غفلته ترجع غالباً إلى ظن الإنسان أنَّه يعرف نفسه، أو أنَّه لا يعرف كيف ينظر في نفسه، أو لا ينتبه إلى هذا الأمر بتاتاً، ويمكننا دراسة ذلك من خلال طرح الإشكال المتمثِّل في التساؤل الرئيس:

ما مدلول الخطاب الإنساني في القرآن الكريم؟

والذي يتبعه الأسئلة الفرعيَّة الآتية:

كيف يمكن توظيف الخطاب الإنساني القرآني في الحقل الدعوي؟

وما مدى إسهام القيم الإسلاميَّة في بناء علاقة مع الآخر يكون أساسها المشترك الإنساني؟

وما أبرز التطبيقات العمليَّة للقيم الإسلاميَّة؟

ثالثاً: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1- بيان أنَّ الإنسان هو محور الخطاب القرآني، فهو المخاطب الرئيس في القرآن الكريم، وتوضيح حقيقة أنَّ من أكبر المنغِّصات التي يكابدها الإنسان هو مأزق التفرقة بين البشر بمختلف صورها؛ سواء كانت عقديَّة أم عرقيَّة أم جهويَّة أم غيرها.

2- التركيز على القيم الإسلاميَّة المتعلِّقة بالإنسان كونه إنساناً؛ لتبيانها وتوضيحها في سياقها الصحيح، والعمل على تفعيلها وتطبيقها عمليَّاً وسلوكيَّاً؛ وذلك بجعلها ثقافة سائدة في المجتمع.

3- ترجمة القيم الإسلاميَّة إلى واقع ملموس من خلال إبراز نماذج عمليَّة؛ قصد الإسهام في إثراء ثقافة التعايش المشترك.

4- بيان أن التشريعات والمواثيق الوضعيَّة لا يمكن لها أن تضمن تفعيل وتطبيق قيم الإنسان في عالم ليست لديه مرجعيَّة ثابتة وعادلة وقابلة للتطبيق.

رابعاً: منهج البحث:

سوف أستخدم في هذا البحث إن شاء الله – تعالى – المنهج الوصفي الذي يقوم على جمع ودراسة معلومات وحقائق محدَّدة، ومن ثم إبرازها في شكل علمي مركَّز، وهو الأنسب لمثل هذه الدراسات.

خامساً: الدراسات السابقة:

حسب اطلاعي، ومن خلال بحثي في فهارس المكتبات الوطنيَّة في ليبيا التي عادة ما أرجع إليها، وكذلك بحثي في الفهارس وقواعد البيانات المتوفِّرة في شبكة المعلومات الدوليَّة، فإنِّي لم أقف على كتاب أو بحث يتناول هذا الموضوع بالصورة التي اخترت لها عنوان هذا البحث، والإشكال الذي طرحته، وحدود البحث الذي سأقتصر عليها، فإنَّه بلا ريب أنَّ المكتبات حافلة بالمؤلفات والدراسات المعمَّقة عن الخطاب الإنساني في القرآن الكريم، والقيم الإنسانيَّة المشتركة، التي اعتمدت عليها في هذا البحث، وأشرت إلى أبرزها في قائمة المصادر والمراجع.

سادساً: حدود البحث:

يقتصر البحث على ما ورد في القرآن الكريم من مفردات تتعلَّق بـ (الإنسان)، والقيم الإنسانيَّة المبثوثة في آيات الذكر الحكيم، وما يحمله الإسلام من تعاليم مؤكِّدة لهذه المبادئ والقيم الإنسانيَّة المشتركة.

سابعاً: خطة البحث:

يأتي هذا البحث في ثلاثة مباحث، وعلى النحو الوارد تفصيلاً في متن البحث.

المبحث الأول: رسالةُ القرآن الكريم إلى الإنسان

سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين، وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم الإنسان في القرآن الكريم:

وردت مفردة (الإنسان) في القرآن الكريم خمس وستين مرة[1]، وأول ما نزل من القرآن الكريم تضمَّن كلمة (الإنسان) في قوله – سبحانه وتعالى –: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[2]، ثم توالت الآيات التي وردت فيها هذه المفردة في سور القرآن الكريم، منها قوله – تعالى –: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾[4].

وباستقراء مفردة (الإنسان) واستخداماتها في القرآن الكريم نجد أنَّها تحمل معان متباينة[5]؛ فهي تكشف في الإنسان عدداً من الصفات، منها الإيجابيَّة ومنها السلبيَّة، حيث جاءت هذه المفردة في سياقات متعدِّدة تشير إلى صفات متناقضة في الإنسان، الذي يحمل صفات جُبِل عليها، وهي مرتبطة به وملازمة له، ومن هذه

الصفات الملتصقة بالإنسان على سبيل المثال: الجزع والخوف والهلع، فهو إن أصابه شرٌّ كان جزعاً خائفاً لضعف إيمانه، وقلَّة ثقته بالله سبحانه، وإن أصابه خيرٌ من عند الله سبحانه كان جزعاً خائفاً أيضاً من فقدانه، فمثلاً إذا اكتسب مالا فيبخل به ويكنزه خشيةً من نفاده، ولقد غاب عنه أنَّ ما أصابه من خير إنَّما هو من الله – سبحانه وتعالى –، وإنَّ ما أصابه من سوءٍ فهو أمر قد يكون فيه الخير، مصداقا لقوله – تعالى –: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[6]، وكذلك من الصفات السلبيَّة على سبيل المثال: اليأس، والقنوط، والجحود، إلى غير ذلك من الصفات.

وأرى أنَّ استخدام هذه المعاني في الآيات الكريمة يمثل حقيقة الإنسان، ويؤكِّد على أنَّ دعوة الإسلام إلى بني آدم كافة على اختلاف نضجهم وقدراتهم وبيئاتهم؛ ذلك أنَّ الله – سبحانه وتعالى – خلق الإنسان وسطاً، فهو ليس من صنف الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وليس من نسل إبليس –لعنه الله– الذي أعلن التمرُّد على الله – سبحانه وتعالى –، والتحدِّي له جلت قدرته، والذي على أثرها طرده سبحانه وتعالى من رحمته، لذلك فإنَّ حكمته – سبحانه وتعالى – اقتضت أن تخاطب في ابن آدم إنسانيته التي هي في صراع دائم بين الخير والشر، وبين الحق والباطل[7]، وهذا ما يعزِّز ويبرهن رسالة الإسلام في أنَّها موجهة إلى كل إنسان في كل مكان وزمان، ومهما تبدَّلت الأحوال، وتغيَّرت الظروف؛ وقريب من هذا المعنى يقول الجرجاني: "الإنسان الكامل هو الجامع لجميع العوالم الإلهيَّة والكونيَّة، فمن حيث روحه وعقله كتاب عقلي مسمَّى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه كتاب الوحي والإثبات، فهو الصحف المكرمة، المرفوعة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلَّا المطهرون"[8]، واستخدام القرآن الكريم لمفردة (الإنسان) له دلالته لكل سياق وردت فيه؛ فالإنسان المتكبِّر الذي يخاصم ربه يبيِّن له القرآن الكريم حقيقة خلقه فهو خُلِق من نطفة، قال – تعالى –: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[9]، والإنسان الذي لا يشكر نعمة الله عز وجل عليه فإنَّ القرآن الكريم يذكره بنعم الله عليه التي لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[10]، والإنسان الحريص على نعيم الدنيا، والخوف من زوالها فإنَّ القرآن الكريم يطمئنه بأنَّ خزائن الله – سبحانه وتعالى – لا تنفد، قال – تعالى – : ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾[11].

ففي هذه الآيات الكريمة يبيِّن القرآن الكريم الطرق السليمة التي ترشد الإنسان للانتباه إلى الصفات السلبيَّة ليُحَوِّلها إلى صفات إيجابيَّة بالتوكُّل على الله جلَّت قدرته، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، ومن ثم بعمله وجده وتفانيه، وهنا تكتسب البشريَّة قيمًا إنسانيَّة تسمو فوق الأهواء والأنانيَّة؛ قيمًا تتسم بالتسامح، والإخاء،

وقبول الآخر، والتعاون على البر والتقوى، وليس نقيض هذه الخصال من التكبُّر، والتعصُّب، ورفض الآخر، والتآمر بالإثم والعدوان.

ومن باب المقارنة، وفي واقع مليء بالمتناقضات، وعلى سبيل المثال فإنَّ المسيحيَّة –المحرَّفة– والتي تطرح نفسها كحل لجميع قضايا الإنسان، فإنَّها تقدِّم صورة مثاليَّة للإنسان يصعب تحقيقها[12]؛ فلكي يصبح الإنسان في ملكوت المسيح ينبغي عليه أن يتحلَّى بصفات مثاليَّة تكون عسيرة على الغالب من الناس، وهذه الصفات يغيب عنها التدرج في القدرات ومدى تقبُّل الإنسان للمواقف كما بينته الشريعة الإسلاميَّة، وذلك ما سوف نوضحه لاحقاً في هذا البحث[13]، فقد ورد في الإنجيل في هذا السياق مثلاً: "وأمَّا أَنَا فأَقُولُ لَكُم أحبُّوا أعدَاءكُم"[14]، وهذه رؤية مبالغ فيها لا تلقى قبولاً في الواقع من عموم الناس، لأنَّ طرحها بهذه الصورة مبالغ في مثاليته، فما يتضمَّنه الإنجيل من تعاليم هي في الحقيقة شطط في المثاليَّة في علاقة الإنسان بالإنسان، لاسيما في ما يتعلَّق بالتعاملات بين الناس بمختلف أنواعها؛ ذلك لأنَّ مسؤوليَّة الإنسان في المسيحيَّة تنبع من خلال ضميره الذي هو "إدراك داخليّ لما هو صالح ولما هو غير ذلك"[15]، والواقع أنَّ الإنجيل يمضي إلى أبعد من ذلك فيؤكِّد أنَّ مسؤوليَّة الإنسان ليس فقط بضمان حقوق الآخر، بل ينبغي أن يمتنع عن المطالبة بحقوقه تجاه الآخر ولو في أشد ضرورات الإنسان، يقول الإنجيل: "أمَّا أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشرير: بل منْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ، فَأَدِرْ لَهُ الآخَر أيضاً، ومَن أَرَادَ أن يحاكمك ويَأخُذَ قميصكَ، فَاتْرُكْ لَهُ رِدَاءَكَ أَيْضا"[16].

وإذ نستشهد بكتب اليهود والنصارى (الكتاب المقدس– التوراة و الإنجيل) في هذا الموضع وغيره نؤمن يقينا بأنَّها ليست التوراة كما أنزلها – سبحانه وتعالى – على نبي الله موسى، وليست الإنجيل كما أنزله – سبحانه وتعالى – على نبي الله عيسى، وإنَّما من باب البحث العلمي وفقاً للأسس والقواعد العلميَّة المتعارف عليها، كون الكتاب المقدس —على اختلافاته حسب كل طائفة– هو ما يعتقد بصحته من يعتنقه، فبقراءات متأنية لما ورد فيه على لسان أنبياء العهد القديم (التوراة) وحواري المسيح في العهد الجديد (الإنجيل) نجد التناقض والتعارض بين ما ذكره القرآن الكريم عنهم، وبين ما هو منصوص عليه في الكتاب المقدس المتداول حالياً، ونحن دائماً نتمثَّل قوله — تعالى –: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[17].

المطلب الثاني: الواقعيَّة في الخطاب القرآني:

عندما يذكر القرآن الكريم الصفات السلبيَّة ونقيضها في الإنسان فإنَّ ذلك بيان إلى أنَّ الإنسان أهل للكمال والنقص بما فُطِر عليه من استعداد لكل منهما، فهو أهل للخير والشر، وهو في صراع دائم بينهما، فله

مواقف تبيِّن إنسانيته وتظهر مشاعره النبيلة وسلوكه المتزن، وفي ذات الوقت فإنَّه في تحدٍ دائم مع الشيطان ووساوسه –أعاذنا الله منه–، قال عز وجل حكايةً عن إبليس –لعنه الله–: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[18]؛ لذلك يظل الإنسان دائماً متقلباً وحائراً، وتبقى الهداية والسكينة والأمان في هديه جلَّت قدرته، قال – تعالى –: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[19]، والقرآن الكريم أساس التوازن في كل الأمور لمن أراد الهداية، وأعظم دلائل الهداية هي تقوى الله – سبحانه وتعالى – في السر والعلن؛ لأنَّ التقوى تجعل الإنسان رقيباً على نفسه يخشى الله – سبحانه وتعالى –، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه أي تشريع وضعي، فالإنسان يفكِّر بعقله مهتدياً بفطرته السليمة، وعلى أساس هذا الاختيار يرشده الحكيم الخبير إلى الطريق المستقيم، قال – تعالى –: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[20].

وعند تأمُّل مثل هذه الآيات القرآنيَّة نجدها ترشد الإنسان إلى حقيقته، فالقرآن الكريم الذي يهدي الإنسان للتي هي أقوم، ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو رحمة للعالمين يرشدان الإنسان إلى كل خير وفضيلة؛ وفي ذات الوقت تبيِّن له أنَّه مخلوق أصله الأول من تراب وسلالته من ماء مهين، ومهما عاش في هذه الحياة، فإنَّه سيرد إلى أرذل العمر فلا يعلم بعد علم شيئا، ثم ينتهي أجله في هذه الدنيا؛ ومع ذلك يغلب عليه أن يطغى ويستكبر ويعاند، قال – تعالى –: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٍ﴾[21]، كذلك ومن جانب آخر يرشد الخطاب القرآني إلى هويَّة الإنسان؛ فهو ذلك المخلوق المكرَّم على سائر المخلوقات، حين أمر الله الملائكة بالسجود له، وأنَّه المخلوق الذي فضَّله – سبحانه وتعالى – بالعقل والبيان، والقدرة على إدارة الأمور، وشرَّفه بالخلافة على هذه الأرض، و"الخلافة عبادة طوعيَّة لله – تعالى – بالتزام هديه وشرائعه ينشأ عنها ضبط للسلوك الإنساني في علاقته مع الله –سبحانه وتعالى– وعلاقته بالكون والمخلوقات بحيث تسير الحياة الإنسانية ضمن إطار الصلاح"[22]، وتتضح كل هذه الحقائق في قوله – تعالى –: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكان من الكافرين﴾[23]، وقوله – تعالى –: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[24]، وقوله – تعالى –: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[25].

إنَّ الخطاب القرآني موجَّه إلى الإنسان الذي يحمل صفات متناقضة، كما خلقه – سبحانه وتعالى –، ولما ميَّزه عن غيره من المخلوقات؛ من كون الإنسان مكلَّف خلقه الله وأودع فيه دوافع فطريَّة، والتي هي أصيلة في

الإنسان ومرتبطة به وملازمة له، ولقد ورد في القرآن الكريم المعاني الإيجابيَّة والسلبيَّة لهذه النوازع والغرائز: من المعاملة بالمثل، ورد الاعتداء، وكظم الغيظ، والعفو، والصفح، والإحسان؛ وهذا أمر ليس فيه تعارض أو تناقض، بل يدل على اختلاف ردود فعل الإنسان على ما يقابل من مواقف في حياته، كلّ حسب قدرته ومدى صبره وشدة احتماله، فلا يكلِّف الله نفساً إلَّا وسعها، ولا يكلِّف الله نفساً إلَّا ما آتاها، ونورد في هذا المقام الشواهد من الآيات المبينة لذلك: قال – تعالى –: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[26]، فهذه الآية الكريمة تبيح رد الاعتداء، وقد أذن – سبحانه وتعالى – في رد الاعتداء في عديد المواضع من القرآن الكريم؛ مثل قوله – تعالى –: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[27]، وقوله – تعالى –: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾[28].

وقد جاءت آيات أخرى تدل على العفو، مثل قوله – تعالى –: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[29]، وقوله – تعالى –: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[30]، ونقف عند هذه الآية الكريمة لنبيِّن أنَّ قولَه – تبارك وتعالى – لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) دعوةٌ عامّةٌ موجهة لكل إنسان؛ كما قال ابنُ كثير: "أمر الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عبادَه بالمعروف، ويدخل في ذلك جميعُ الطاعات، وبالإعراضِ عن الجاهلين؛ وذلك وإن كان أمراً لنبيِّهِ صلى الله عليه وسلم؛ فإنَّه تأديبٌ لخلقه باحتمال من ظلمهم واعتدى عليهم"[31]، ولقد بيَّن – سبحانه وتعالى – مشروعيَّة رد الاعتداء في الآيات المذكورة سابقاً، ثم أرشد إلى السلوك الأقوم وهو العفو، والذي قد لا يستطيع كل إنسان القيام به لاختلاف الطبيعة البشريَّة في العواطف والانفعالات ودرجة التبصر بالأمور؛ فقال – تعالى –: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[32]، وقال – تعالى –: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[33]، وممَّا هو أعلى درجة من العفو، والذي لا يمكن أن يتصف به إلَّا القلَّة من البشر هو الإحسان والذي يعني مقابلة الإساءة بالإحسان، وهو قيمة إنسانيَّة كبرى، وهو أعلى مراتب التفضيل، قال – تعالى –: ﴿ولا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[34]، ويرشد القرآن الكريم الإنسان إلى أنَّ رد الاعتداء له مواضع، والعفو له مواضع، وللإحسان منزلته عند الله – سبحانه وتعالى –، وهذه المعاني تعزِّز وتؤكِّد القيم الإنسانيَّة التي وردت في القرآن الكريم والتي تتلاءم مع كل الطبائع البشريَّة.

المبحث الثاني: عالميَّة الخطاب القرآني في خطابه للإنسان:

سوف نتناول عالميَّة الخطاب القرآني في مطلبين، وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول: التوازن في نظرة الإسلام للإنسان:

الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرةً متوازنة، فالإنسان له رغبات فطريَّة متعدِّدة ومتنوِّعة ومتفاوتة في حاجة إلى إشباع، ولذلك نجد الشريعة الإسلاميَّة تعالج هذه الرغبات معالجة متوازنة؛ تأكيدا لحقيقة أنَّ الغرائز الإنسانيَّة متأصِّلة في الإنسان، فمثلاً: فيما يتعلَّق بمتطلَّبات الإنسان اليوميَّة من مسكن ومأكل وملبس ونحوها، فلقد عالجها الإسلام معالجة تقوم على التوازن الذي يمنع الترف والإسراف من جهة، ويضع الضوابط التي ينبغي أن يتقيد بها المجتمع –دولة، مدينة، مجتمع صغير– للحد من الجوع والحرمان والفقر المدقع من جهة أخرى، وفيما يتعلَّق بتحقيق أهداف وطموحات الإنسان في هذه الحياة بكل صورها فقد عالجها الإسلام أيضاً معالجة تقوم على التوازن بين أن يحقِّق الإنسان آدميته، ويعيش حياة منضبطة حتى لا ينتهي إلى سيطرة واستغلال واستعباد طائفة لطائفة أخرى، أو جنس لجنس آخر[35]، وكذلك كل غريزة من غرائز الإنسان لو دقَّقنا النظر فيما شرع لها الإسلام لوجدنا أنَّه أراد المحافظة على جوهر الإنسان متمثِّلاً في شموليَّة غرائزه التي تستوعب كيانه عن طريق خلق التوازن المطلوب بينها لأداء دورها كاملا في الحياة[36].

ولقد اكتسبت البشرية عبر تاريخها الطويل قيَمًا إنسانيَّةً متعدِّدة، ذلك لأنَّ المجتمعات وإن تباينت من حيث الدين أو العادات أو النظم الاجتماعيَّة، إلَّا أنَّ وجود عوامل إنسانيَّة مشتركة تجمع بين هذه الشعوب مسألة بدهيَّة وملموسة[37]، وهذه العوامل هي مجموع القيم الإنسانيَّة المشتركة التي لا يمكن للفطرة السليمة أن تنفر منها، غير أنَّ تلك القيم لم تبلغ كمالها إلَّا حينما اتصلت بخالقها عن طريق الرسالات السماويَّة، والتي كان آخرها رسالة الإسلام، ومفهوم القيم في الإسلام يعني: "مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصيَّة الإسلاميَّة، وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحيّ مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه، وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة"[38]، ومن أبرز قيم الإسلام والتي تعد أساساً لعلاقات إنسانيَّة متوازنة ما ورد في أحد قصار السور في القرآن الكريم وهي سورة (العصر)، وهي تمثِّل قيمة إنسانيَّة سامية؛ وهذه الأسس هي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، فهذه السورة مع قلَّة عدد كلماتها فإنَّها تُمثِّل الطريق الذي يهدي إلى الطريق المستقيم، قال – تعالى –: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[39]، فالقرآن الكريم عندما يبيِّن هذه الأسس والمقومات فإنَّه يخاطب جميع البشر، ولم يقيد ذلك بمكان أو زمان، وهو خطاب موجه إلى الإنسان بما يسعده في الدارين.

ومن القيم الكبرى التي جاء بها القرآن الكريم على سبيل المثال أنَّه أرشد الإنسان إلى الحق والعدل والفضيلة، ووضع قواعد أساسيَّة للتفكير واستخدام العقل، وهذا المنهج جاء للإنسان بغض النظر عن معتقده ولونه وعرقه؛ وهذه الجوانب المضيئة هي التي يمكن تقديمها للبشريَّة على أنَّها منهج القرآن الكريم الصالح لعموم البشريَّة، هذا المنهج القرآني الذي يخاطب العقلاء والمفكِّرين والعلماء هو أيضاً الدليل والتأكيد على المنهج العلمي الذي جاء به القرآن الكريم، وأنَّ (التفضيل) في المنهج الإلهي مناطه العقل، وهو المعنى المراد في قوله – تعالى –: ﴿ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[40]، فكثير من كتب تفسير القرآن الكريم تشير إلى ذلك المعنى؛ فنجد على سبيل المثال القرطبي يورد أقوالاً عديدة للمقصود من (التفضيل)، ثم يصل إلى القول: "والصحيح الذي يعول عليه إنَّما التفضيل كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله"[41]، أمَّا الفخر الرازي فيذهب إلى القول: "إنَّ النفس الإنسانيَّة مختصة بقوة أخرى وهي القوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء كما هي، وهي التي يتجلَّى فيها نور معرفة الله – تعالى –"[42].

المطلب الثاني: العقل ودوره ووظيفته في الخطاب القرآني:

إنَّ الوحي الإلهي مقدَّم على العقل البشري، فرسالة الإسلام في جوهرها تقوم على العقيدة التي مصدرها الوحي الإلهي، وهي الإيمان بما أنزله الله جل وعلا، وعبادته وحده – سبحانه وتعالى –، والعقل قد يؤيده الوحي، فعلى سبيل المثال فإنَّ الواقع يبيِّن أنَّ الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، وله دوافع متنوِّعة في حياته، وتحرِّكه عوامل متشابكة تؤثِّر تأثيرا مباشراً في مسلكه النفسي والاجتماعي؛ وهذه العوامل منها ما هي عوامل فطريَّة ومنها ما هي عوامل مكتسبة، والدوافع الإنسانيَّة في حاجة إلى توازن يراعي آدميَّة الإنسان وتطوره الجسدي ونموه من جهة، وإدراكه المعرفي بما تمر عليه من تجارب وبما يكتسبه من معارف من جهة أخرى[43]، وتبرز القيمة الكبرى لرسالة الإسلام في أنَّ العقل دائماً يكون منضبطاً مع الوحي الإلهي؛ ففي هذا السياق ووفقا لمقتضيات الواقع في كون الإنسان كائناً اجتماعيَّاً بطبعه، فإنَّ الأمر يتطلَّب اليقين بأنَّ كل البشر عباد الله خلقهم من ذكر وأنثى وجعلهم شعوباً وقبائل لتتعارف وتتآلف، وأنَّ أكرم البشر عند الله – سبحانه وتعالى – هو الأتقى، وأنَّ العيش في هذا الكون مبدأ عام هو العيش بسلام، ذلك إنَّ الإسلام في معناه السلوكي هو السلام، فمن هذه القيمة الإنسانيَّة الكبرى كانت عالميَّة القرآن الكريم في خطابه للإنسان؛ والذي يعني إحياء الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فالقرآن الكريم بما يتضمَّنه من قيم إنسانيَّة هو الهادي للعالمين ومخلِّص البشريَّة من جميع أشكال الطغيان والقهر والإذلال للإنسان، وقد أثبتت عالميَّة القرآن الكريم ذاتها وانتشرت على بقاع الأرض منذ بعثته

صلى الله عليه وسلم، فعلى مدى نصف قرن من بداية الدعوة الإسلاميَّة كانت قد وحّدت كثيراً من شعوب الأرض، وهذه الدعوة العالميَّة –وعلى ضعف المسلمين اليوم– ما زالت تنتشر وتتعاظم في كل أنحاء المعمورة.

ومن قيم الإسلام الكبرى الاهتمام بالفرد والمجتمع؛ فعلاقة الإنسان بخالقه ليست مجرَّد شعائر وطقوس، فمدى مصداقيَّة الإخلاص لله – سبحانه وتعالى – تعرف من سلوك المسلم من خلال تصرفاته وسلوكه وتعامله مع الآخر، وهي مرتبطة ارتباطاً مباشراً بكل فرد، وهي مسألة جوهريَّة في الإسلام؛ والمقصود بها علاقة الإنسان بخالقه – سبحانه وتعالى –، ومظاهرها تتمثَّل في تقوى الله وحب الخير للإنسان مهما كانت عقيدته أو فصيلته، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ونحوها، وهي أعمال فرديَّة مرتبطة بكل إنسان منفرداً، والأمر الثاني هي الممارسة العمليَّة وهي المظهر الخارجي المعبِّر عن السلوك الداخلي للإنسان، فأهم شعائر الإسلام من صلاة وحج تمارس بشكل جماعي، فالصلاة المفروضة وهي أهم شعائر الإسلام الأصل فيها أنَّها تمارس بشكل جماعي؛ فإذا تطهَّر الإنسان من الباطن، وتطهَّر من الخارج، فإنَّه يقدِّم الصورة المتكاملة للإنسان، "وهذان الأمران –نظافة الظاهر ونظافة الباطن– متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، والجامع لهما متطهِّر كامل"[44]، فقيمة الإنسان في الإسلام من مظاهرها الطهارة الداخليَّة والطهارة الخارجيَّة، والتي تعني نبذ النفاق الاجتماعي بكل صوره، بل إنَّ الإنسان في منظومة القيم الإسلاميَّة يتطلَّب منه الاندماج في المجتمع بكل إيجابيَّة، ومفهوم الاندماج المتعارف عليه سياسيَّاً واجتماعيَّاً، هو ذاته –بل أعظم منه قيمة– مبدأ الأمر المعروف والنهي عن المنكر في الشريعة الإسلاميَّة، فالإسلام أداء جماعي من الناحية العملية قائم على التعاون على أوجه الخير والبر والمعروف.

وممَّا يعزِّز دور المسلم وإسهامه في الدعوة إلى الله كل حسب المعرفة والجهد هو ما تيسَّر للإنسان في هذا العصر من وسائل لاستيعاب مضمون القرآن الكريم، وفهم أسراره، وما أُتيح للإنسان من الأدوات والوسائل للمعرفة والبحث عن طرق الحق والفضيلة والقيم السامية التي يحملها القرآن الكريم، والتي تقدم للإنسان الحل إذا عمل بما جاء في كتاب الله الذي هو هدى للعالمين انطلاقاً من قوله – تعالى –: (يا أيُّها الإنسان)، لذا فإنَّه من الأهميَّة بمكان الاستغلال الأمثل لما هو متاح من تقنيات ووسائل تواصل في الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن، وعلى الأخص المؤسسات والأفراد المهتمين بمجال دراسات الأديان، لما لفهم واستيعاب الأديان من أهميَّة في معرفة اتجاهات وميول الأتباع وطرق تفكيرهم، وذلك بإجراء الدراسات والقيام بالأبحاث، ووضع ضوابط للخطاب الدعوي ليكون واقعاً ملموساً له تأثيره.

فالخطاب الدعوي ينبغي أن يكون منصباً على اهتمامات الناس، ومواكباً للتطورات العلميَّة والتغيُّرات السلوكيَّة والأحوال المعيشيَّة، وفاعلاً في نقل وتبادل تجارب الآخرين، ومركزاً على المشترك الإنساني الذي يشمل

القيم الإنسانيَّة التي تنادي بها الأديان ويدعو إليها المصلحون ويقدِّمها الفلاسفة، وترتبط هذه القيم بالإنسان من حيث هو إنسان بصرف النظر عن الانتماء الديني أو العرقي أو الطائفي؛ ذلك لأنَّ القيم الإسلاميَّة مطلقة وغير نسبيَّة، ولا يلحقها التغيُّر والتبدُّل، وهي معايير وقواعد ثابتة ومناسبة للفرد والمجتمع، وتمثِّل أساساً قوياً في بناء نسيج الشخصيَّة الإنسانيَّة، وهي قيم شاملة متصفة بالعموميَّة والتوازن والعالمية[45].

ولقد أرشد القرآن الكريم إلى التدرُّج في الخطاب الدعوي الموجه إلى الإنسان؛ كون التدرُّج والتمهُّل في كل الأمور من قيم الإسلام الكبرى، حيث نجد في مواضع عديدة من القرآن الكريم ما يدل على ذلك؛ منها قوله – تعالى –: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[46]، فهذه الآية الكريمة وضحت التدرُّج في التبليغ؛ والذي يبدأ من تلاوة القرآن الكريم، والمراد بالتلاوة في هذا المقام التعريف به وتبليغه للناس، والتزكية والمقصود بها استيعاب مضامين القرآن الكريم ورسالة الإسلام وقيمها، والحكمة التي تمثِّل التطبيق العملي والفعلي للأحكام وإبراز معانيها، بل إنَّ الأمر يصل إلى الجانب العقدي من حيث زيادة الإيمان ونقصه، والذي يتطلَّب مجاهدة النفس بالتدرُّج في اكتساب العلم وحمل النفس على العمل به، وفي هذا الشأن يقول ابن القيم: "كلُّ عِلْمٍ وعملٍ لا يزيدُ الإيمانَ واليقينَ قوةً فمدخولٌ"[47]؛ ذلك أنَّ تقوي الله –سبحانه وتعالى–، ومراقبةِ النفس هي التي تؤكِّد التطبيق العملي للقيم ظاهراً وباطناً.

إنَّ من الأسس المتينة للنجاح عموماً الوعي بالمجتمع المحيط، وإدراك الصِّلةَ بين السلوكِ وبين المنهج، والحرص على عدم الانحراف والتطرُّف، ذلك أنَّ الأساليب المتطرِّفة تُفقِدُ الإنسانَ توازنَه، وتحول بينه وبين القدرةِ على التفكيرِ العقلاني السليم؛ وفي هذا المقام نشير إلى أنَّ منظومة الأخلاق الإسلاميَّة وِحدةٌ متكاملةٌ؛ وهي قيم إنسانيَّة يتفاوت فيها الناس سلباً وإيجاباً؛ كما بيَّن القرطبي ذلك في تفسير قول الله – تعالى –: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[48]؛ فيقول: "هذه الآية من ثلاث كلمات تضمَّنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيَّات؛ فقولُهُ – سبحانه وتعالى –: (خذ العفوَ) دخل فيه صلةُ القاطعين والعفوُ عن المذنبين والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين، ودخل في قوله – تعالى –: (وأمرْ بالعرف) صلةُ الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار والاستعداد لدارِ القرار، وفي قوله – تعالى –: (وأعرضْ عن الجاهلين) الحضُّ على التخلُّق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزُّه عن منازعة السفهاء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة"[49].

المبحث الثالث: البعد الدعوي في الخطاب القرآني:

سوف نناقش البعد الدعوي في الخطاب القرآني في مطلبين، وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول: الجوانب الاجتماعيَّة والنفسيَّة في الخطاب القرآني :

إنَّ الإنسان كما أنَّه من حيث الخِلقة ينمو ويكبر ويتكامل مع مرور الزمن، فإنَّه كذلك اجتماعي يتطوَّر عبر الزمن، وهذا التكامل ظاهر في كل مجالات الحياة؛ فهو بعد أن يولد ينمو ثم يصبح قادراً على أن يقوم بأموره من خلال المراحل العمريَّة في هذه الحياة، وكذلك جماعيَّاً هو قابل لأن يتكامل كونه اجتماعيَّاً بطبعه، وتتطلَّب مصالحه التواصل مع الآخر، فالبعد الاجتماعي للإنسان هو ما يكسبه صفات خُلقيَّة وتصرفات وسلوكيَّات تعزِّزها قيم الإسلام.

ولما كانت النفس البشريَّة كما خلقها – سبحانه وتعالى – أمارة بالسوء، ولوَّامة، ومطمئنة، فقد جاءت الآيات القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة لتبيِّن لها الرشد من الغي، وتحول بينها وبين ما ينبغي أن تكون عليه من الصفات الإيجابيَّة، والآيات القرآنيَّة وأقوال وأفعال وتقريرات رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تبيِّن مشاعر الإنسان وانفعالاته وتقلُّباته، وفي كل أحواله وتقلُّباته؛ فالإنسان مهما بلغت مرتبته من السمو، ومهما اتصف به من المزايا فإنَّ ذلك ليس نابعاً من ذاته أو اكتسبه بجهده، وأنَّ ما به من خير ونعمة فهو فضل من الله عز وجل، وأمانة استودعت عنده إلى أجل مسمَّى، يقول الراغب الأصفهاني: "لما كان الإنسان إنَّما يصير إنساناً بالعقل، ولو توهَّمنا العقل مرتفعاً عنه لخرج من كونه إنساناً.. والعقل لن يكمل، بل لا يكون عقلاً إلَّا بعد اهتدائه بالشرع، ولذلك نفى الله العقل عن الكفار في غير موضع من كتابه، والاهتداء بالشرع هو عبادة الله – تعالى –"[50].

والإنسان في مفهوم القرآن الكريم كائن بشري مكوّن من طبيعة ماديَّة وروحيَّة، أمده الله بالعقل؛ فهو بذلك خليفة الله عزّ وجل في الأرض بهذه الميزة التي وهبها له الله – سبحانه وتعالى – دون سائر المخلوقات، وهو المسؤول عن عمارة الأرض، والعمل على تنمية وتطوير الكون، وبناء كلّ ما يلزم الحياة من أمن وأمان، وتعارف وتآلف، وعلم وعمل؛ فالإنسان مطالب لتحقيق النفع والفائدة والعمران في هذه الدنيا بتطبيق شرع الله عز وجل، وفي هذا المعنى يقول الراغب الأصفهاني أيضاً: "والفعل المختص بالإنسان ثلاثة أشياء؛ الأول: عمارة الأرض المذكورة في قوله – تعالى –: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ هود:[61]، وذلك تحصيل ما به تزجيته المعاش لنفسه ولغيره، والثاني: عبادته المذكورة في قوله – تعالى –: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات:[56]، وذلك هو الامتثال للبارئ عز وجل في أوامره ونواهيه، والثالث: خلافته المذكورة في قوله – تعالى –: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ الأعراف:[129]، وذلك هو الاقتداء بالبارئ سبحانه على قدر

طاقة البشر باستعمال مكارم الشريعة"[51]؛ ولكي يتمكَّن الإنسان من تحقيق ذلك يتحتَّم عليه السعي في الحياة الدنيا على أساس من المعرفة والعقل، فلا يعبد غير الله – سبحانه وتعالى – الذي بيده حياته وموته، ونفعه وضره، ولا يطغى أو يتكبَّر، وهو يدرك يقينا بأنَّ الله جلَّت قدرته خلقه، وأمره بعبادته وحده لا شريك له، قال – تعالى –: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[52].

إنَّ الآيات القرآنيَّة تخاطب الإنسان في كل مكان وزمان، وهي أصولٌ لا تستقيم حياة البشريَّة إلا بها، فالقرآن الكريم يدعو إلى التوحيد، وإقامة العدل، ونبذ الظلم، والإنسان لو أدرك هذه المفاهيم فكراً وسلوكاً ومنهجاً لجنَّب الكون المآسي والكوارث، ولعاشت الإنسانيَّة في سلام وتصالح وتعايش، وهذه الآيات الكريمة تخاطب البشريَّة لعلَّ الإنسان يدرك حقيقة الحياة التي يعيشها، ويؤمن أنَّ الله – سبحانه وتعالى – لم يخلقه عبثاً، ولذا ركَّزت الآيات القرآنيَّة على توحيد الله – سبحانه وتعالى – وعبادته وحده، وأنَّ الدين الحق هو الإسلام قال – تعالى –: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ﴾[53]، وقال – تعالى –: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[54]، فهاتان الآيتان تصحِّحان عقائد الناس وترشدان الإنسان إلى الطريق المستقيم، فالخطاب القرآني في مجمله يحمل توجُّها إنسانيَّاً عالميَّاً دعويَّاً صالحاً لكل مكان وزمان، والقرآن الكريم يستوعب كل حقائق الحياة وتطوُّر المجتمعات الإنسانيَّة، فآياته الكريمة وما تضمَّنته من قيم وثوابت جاءت لصالح البشريَّة، وهذا جوهر الدين الذي أرسل الله به رسوله – محمد صلى الله عليه وسلم – للناس كافَّة.

المطلب الثاني: ثمرات القيم الإسلاميَّة

إنَّ مفهوم الإنسانيَّة هو منهاج عملي للمسلم؛ لأنَّ فعل الخير والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر يكون لكل إنسان؛ لذا كان دور المسلم الحقيقي في هذه الحياة هو حمل هذا الدين وتطبيقه عمليَّاً، وأن يكون مسلكه مطابقاً لعقيدته، وإيصال هذه الرسالة للآخر؛ لتحقيق الطمأنينة ونشر الفضيلة لجميع الناس على اختلافهم وتنوّعهم مصداقاً لقوله – تعالى –: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[55].

ومن خصائص القرآن الكريم في خطابه للإنسان الهداية؛ والدعوة إلى الله – تعالى – هي أهم سبب في هداية الإنسان، والخطاب الدعوي المتزن هو أبرز وسائل الدعوة، لذا كان من الأهميَّة الاهتمام به، ووضع ضوابط له ليحقِّق غايته ويكون واقعاً ملموساً، له تأثيره في كل مجالات الحياة، بحيث يكون الخطاب الدعوي مواكباً لتطوُّرات العصر؛ وذلك بتقديم الإسلام بصورة تبيِّن قدرته على التفاعل الدائم مع مستجدات الحياة[56]؛ ذلك أنَّ واقعيَّة الخطاب وملامسته لحاجات الناس ومراعاته لظروف المكان والزمان عوامل تساعد على تحقيق

الأهداف، وفي هذا الصدد يقول ابن القيم :"لَا يَتَمَكَّنُ الْمُفْتِي وَلَا الْحَاكِمُ (يعني القاضي) مِنْ الْفَتْوَى وَالْحُكْمِ بِالْحَقِّ إلَّا بِنَوْعَيْنِ مِنْ الْفَهْمِ: أَحَدُهُمَا: فَهْمُ الْوَاقِعِ وَالْفِقْهُ فِيهِ... وَالنَّوْعُ الثَّانِي: فَهْمُ الْوَاجِبِ فِي الْوَاقِعِ، وَهُوَ فَهْمُ حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ رسولِهِ فِي هَذَا الْوَاقِعِ، ثُمَّ يُطَبِّقُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ... فَالْعَالِمُ مَنْ يَتَوَصَّلُ بِمَعْرِفَةِ الْوَاقِعِ وَالتَّفَقُّهِ فِيهِ إلَى مَعْرِفَةِ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... وَمَنْ سَلَكَ غَيْرَ هَذَا أَضَاعَ عَلَى النَّاسِ حُقُوقَهُمْ، وَنَسَبَهُ إلَى الشَّرِيعَةِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا رَسُولَه".[57]

والخطاب الدعوي المتزن هو الذي يكون ملتزماً موضوعيًّاً بالضوابط الشرعيَّة؛ ثم استعمال الأساليب الدعويَّة المناسبة لكل مقام من خلال الطرح العلمي وفقاً للأسس والقواعد العلميَّة المتعارف عليها، والاستخدام الأمثل للعقل، وتقديم الحجج والبراهين المنطقية، وطرح الأفكار والآراء المتباينة حول القضايا الإنسانيَّة المشتركة، وفق الرؤى التي تظهر للداعية بحسب الظروف المحيطة، والحرص على إثبات الحقائق الكونيَّة والمشترك الإنساني، وفي هذا الشأن يقول الإمام الشاطبي: "وَقَدْ أَخْبَرَ مَالِكٌ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّ عِنْدَهُ أَحَادِيثَ وَعِلْمًا مَا تَكَلَّمَ فِيهَا وَلَا حَدَّثَ بِهَا، وَكَانَ يَكْرَهُ الْكَلَامَ فِيمَا لَيْسَ تَحْتَهُ عَمَلٌ، وَأُخْبِرَ عَمَّنْ تَقَدَّمَهُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَ ذَلِكَ، فَتَنَبَّهْ لِهَذَا الْمَعْنَى، وَضَابِطُهُ: أَنَّكَ تَعْرِضُ مَسْأَلَتَكَ عَلَى الشَّرِيعَةِ، فَإِنْ صَحَّتْ فِي مِيزَانِهَا، فَانْظُرْ فِي مَآلِهَا بِالنِّسْبَةِ إلَى حَالِ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ، فَإِنْ لَمْ يُؤَدِّ ذِكْرُهَا إلَى مَفْسَدَةٍ، فَاعْرِضْهَا فِي ذِهْنِكَ عَلَى الْعُقُولِ، فَإِنْ قَبِلَتْهَا، فَلَكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِيهَا إمَّا عَلَى الْعُمُومِ إنْ كَانَتْ مِمَّا تَقْبَلُهَا الْعُقُولُ عَلَى الْعُمُومِ، وَإِمَّا عَلَى الْخُصُوصِ إنْ كَانَتْ غَيْرَ لَائِقَةٍ بِالْعُمُومِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِمَسْأَلَتِكَ هَذَا الْمَسَاغُ، فَالسُّكُوتُ عَنْهَا هُوَ الْجَارِي عَلَى وَفْقِ الْمَصْلَحَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ"[58].

ومن مظاهر الخطاب الدعوي الناجح الانطلاق من الخصائص العامة للإسلام مثل: الشمول والتوازن والواقعيَّة، وتوضيح التصوُّر الإسلامي الصحيح؛ بحيث يكون الخطاب الدعوي شارحاً لقضايا الإسلام الكبرى ومرسِّخاً لها، متبنيًّاً المواقف المعتدلة دون إفراط أو تفريط، مركِّزاً على الأسس العلميَّة التي تقوم على منهجيَّة علميَّة مواكبة للتطوُّر العلمي ومستجدات الحياة، ومبرزاً المفاهيم الإسلاميَّة، مرسِّخاً قيم العدالة الاجتماعيَّة، مع تبنِّي قضايا المجتمع المعاشة، والتزام الموضوعيَّة في التعامل مع الآخر، واجتناب التجريح والتنفير، والاجتهاد في أن يكون الخطاب عاماً ومجرَّداً وموضوعيًّاً.

إنَّ القيم السماويَّة هي قيم عليا، وهي قيم كليَّة تصلح لكل المواقف الحياتيَّة عبر الأزمان والأمكنة والشخوص وهي ثابتة لا تتغيَّر[59]، والقيم الإسلاميَّة تحمل معاني إنسانيَّة سامية؛ فعلى سبيل المثال الأدبيات الإسلاميَّة تستعمل في التواصل مع الآخر مصطلح الجدل بالتي هي أحسن الذي هو مختلف عن الجدل بالمفهوم السائد في أوساط الناس، إذ الجدل بالتي هي أحسن يعمل على تفهُّم الآخر، ويسعى إلى تقريب الآخر إلى مراحل ترقى بمستوى الجدل إلى درجة الإخاء الإنساني، مصداقاً لقوله – تعالى –: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[60]، وهكذا فإنَّ القيم في القرآن الكريم مصدرها القرآن الكريم نفسه الذي يتحقَّق من خلال العمل به التوازن الفردي والاجتماعي[61]، وأنَّ دور الداعية المسلم المستوعب لتطوُّرات العصر، والذي يستخدم الأدوات والوسائل العلميَّة والإعلاميَّة المتاحة من الأهميَّة بمكان في ظل المتغيِّرات المتسارعة التي يشهدها عالمنا اليوم من أجل إبراز القيم الإسلاميَّة لتكون سلوكاً وثقافة وممارسة عمليَّة، بعيداً عن المصالح الآنيَّة والتوظيف السياسي والأغراض النفعيَّة التي تخرج القيم النبيلة عن غاياتها وأهدافها.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث نصل إلى النتائج والتي نوجزها في الآتي:

أولاً: إنَّ في نداءات الخطاب الدعوي في القرآن الكريم وتوجيهاته شمولاً وعموماً؛ ذلك أنَّه لم يوجِّه نداءه إلى فئةٍ، أو جنسٍ، أو عرق، بل شمل ذلك الخطاب أصناف الناس على تنوُّع أجناسهم وألسنتهم وأعراقهم، فقد خاطب – سبحانه وتعالى – النَّاس بصيغة العموم في بعض الآيات، وخاطب بصيغة الإنسان في آيات أخرى، واستعمل أساليب أخرى حسب سياق النَّص ومقتضى الحال.

ثانياً: المتأمِّل بدقَّة في الخطاب القرآني، يجد أنَّ القرآن الكريم يدعو إلى القيم التي ترشد إلى ما فيه خير الإنسان، والفضائل السَّامية؛ وأنَّ هذه القيم متأصِّلة في الإنسان كما فطر الله الناس عليها، والدَّعوة إلى هذه القيم والأخلاق والفضائل في الأسلوب الخطابي القرآني تشمل كل صور وأساليب ووسائل الدَّعوة.

ثالثاً: إنَّ القرآن الكريم أنزله الله – سبحانه وتعالى – ليحفظ به الإنسان ويضمن له السعادة في الدنيا والآخرة، وأسمى مراتب القيم الإنسانيَّة هو رغبة الإنسان في زرع الأمان لأخيه الإنسان، والعمل على التقارب بما هو مشترك إنساني، وحب الخير لكل الناس، والشفقة على الآخر لما هو عليه من ضلال وتعاسة وشقاء، والدعوة له بالهداية والرشاد والفلاح.

رابعاً: إنَّ ما يميِّز الحضارة الإسلاميَّة عبر تاريخها وتعاملها مع الآخر هو مبدأ التسامح، فسادت القيم الإنسانيَّة النبيلة في واقع الناس بين المسلمين، وبينهم وبين غيرِهِم من أصحاب الديانات والملل الأخرى، ومن هنا تنبع عالميَّة الإسلام، ودور العلماء الباحثين والدعاة أن يدركوا معنى هذه القيم، وأن يسعوا لتبصير الناس بها وممارستها عمليَّاً وسلوكيَّاً، حتى تتغيَّر تلك الصورة المشوَّهة التي تزايدت في العقود الأخيرة من عدد من المحسوبين على

الإسلام بما يمارس من سلوكيَّات تتعارض مع قيم الإسلام، والتي على أثرها حَكَم الآخر على الإسلام بأنَّه دين يعادي الحضارة والقيم الإنسانيَّة.

خامساً: إنَّ **معيار** المسلم الصادق هو مدى صلته بالخالق البارئ – سبحانه وتعالى –، فكلَّما كان المسلم قريباً من ربِّه ظاهراً وباطناً استشعر قيم الإسلام، ووعى مسؤوليّته أمام الله جلَّت قدرته وكان محل ثقة واعتبار من الآخر.

سادساً: إنَّ تقديم الإسلام بمظاهر شكليَّة أو شعائر تعبُّديَّة غير ذي جدوى في المجال الدعوي، بل المعوّل عليه هو الوعي والإدراك والتبصُّر، واستخدام العقل الاستخدام الأمثل، والداعية غير المدرك لما يدور من حوله من أحداث، ولا يكون متفاعلاً معها، وفاعلاً فيها لا يكون لدعوته تأثير، ومن هنا تتضح أهميَّة الخطاب الدعوي القائم على استخدام العقل والتفكير السليم، وإسقاطه على الواقع.

سابعاً: الوعي الإنساني في عالم اليوم لا يقتصر على الجانب النظري من أدبيَّات وأبحاث ودراسات نظريَّة، إنَّما هو تأقلم مع الواقع؛ بحيث يستوعب الخطاب الدعوي الهويَّات القوميَّة والدينيَّة والعرقيَّة، ومستجدات العصر، والخطاب الدعوي الناجح هو الذي يواكب تطوُّر الإنسان ووعيه؛ فمواكبة كل جديد في المجال الدعوي وضمان استثماره في مجال الدعوة، والإسهام في تقديم رؤى وأفكار لقضايا العصر من خلال طرح حلول عمليَّة وميسرة هو من الأمور المطلوبة والمهمَّة في تجديد الخطاب الدعوي.

ثامناً: إنَّ مفهوم الإنسانيَّة هو منهاج عملي للمسلم؛ لأنَّ فعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون لكل إنسان، لذا كان دور المسلم الحقيقي في هذه الحياة هو حمل هذا الدين وتطبيقه عمليَّاً، وأن يكون مسلكه مطابقاً لعقيدته، وإيصال هذه الرسالة للآخر؛ لتحقيق الطمأنينة ونشر الفضيلة.

تاسعاً: من خصائص الخطاب الدعوي في القرآن الكريم التنوُّع في أساليب الخطاب والمجالات المخاطب بها، وأنَّه يوضح للإنسان طرق الهداية ليحرِّره من الصفات السلبيَّة، ويُحوِّلها إلى قيم إنسانيَّة عليا، وأنَّه يرشد إلى التدرج في الخطاب الدعوي الموجه إلى الإنسان، ويبيِّن مراحل التدرُّج في الدعوة؛ والتي تتطلَّب تطبيقاً عمليَّاً وفعليَّاً لتعاليم الإسلام لإبراز مضامينه ومعانيه وقيمه، وتقديمها بالتي هي أحسن.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه الأتقياء الطيبين الطاهرين، ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش والتعليقات:

([1]) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، ط 2، ص 119.

([2]) سورة العلق، الآية:1-2.

([3]) سورة الإنسان، الآية:1-2.

([4]) سورة السجدة، الآية:5-8.

([5]) كلمة (إنسان) في معاجم اللغة العربية لها معان عديدة؛ منها:

1/"الإنس: جماعة الناس، والجمع أناس وهم الأنس، والأَنس: الحي، والأُنس: خلاف الوحشة، والإنسي: منسوب إلى الإنس والجمع أناسي، وأناسية: جمع إنسية، والإنس: البشر الواحد، ويقال للمرأة : إنسان، ولا يقال إنسانة". (ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ج1، ص47).

2/"إنسان في الأصل: إنسيان، وقيل في الإنسان أصله إنسيان فهو فعليان من الإنس، وفي تصغيره قالوا أنيسيان". (ابن منصور الأزهري، تهذيب اللغة، تح. علي حسين الهلالي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج1، ص16).

3/"الإنس: البشر كالإنسان، الواحد: إنسي وأنسي والجمع أناسي، والأناس: الناس". (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، ص77).

([6]) سورة البقرة، الآية:214.

([7]) ينظر: عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، دار الإسلام، القاهرة، ص175.

([8]) الشريف الجرجاني، التعريفات، تح. عبدالمنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، 1991م، ص47.

([9]) سورة النحل، الآية:4.

([10]) سورة إبراهيم، الآية:36.

([11]) سورة الإسراء، الآية:100.

([12]) ينظر: عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص20.

([13]) ينظر: الفقرة الأخيرة من الجزء الأول من هذا البحث.

([14]) سفر متى، الإصحاح:5، عدد:44.

([15]) جون وسارة مايلز، أخلاقيات الكتاب المقدس، تر. صلاح عباسي، الجامعة الدولية للدراسات، نيو يورك، ط2، 2007م، ص40-41.

([16]) سفر متى، الإصحاح: 5، عدد:39-40.

([17]) سورة آل عمران، الآية:63

([18]) سورة الإسراء، الآيات: 62.

([19]) سورة الإسراء، الآية 9.

([20]) سورة الشورى، الآية:49.

([21]) سورة النحل، الآية:70.

([22]) أحمد حسن فرحات، الخلافة في الأرض، دار الأرقم، الكويت، 1986م، ص 21.

([23]) سورة البقرة، الآية: 33.

([24]) سورة البقرة، الآية 30.

([25]) سورة الأعراف، الآية: 10.

([26]) سورة البقرة، من الآية 193.

([27]) سورة الحج، من الآية:58.

([28]) سورة الشورى، الآية:37.

([29]) سورة آل عمران، من الآية:134.

([30]) سورة الأعراف، الآية:199.

([31]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح. سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، 1999م، 369/2.

([32]) سورة النحل، الآية:126.

([33]) سورة التغابن، من الآية:14.

([34]) سورة فصلت، الآية: 33

([35]) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ج1، ص12.

([36]) ينظر: عدنان أجانة، خطاب الناس في القرآن الكريم (قراءة في نوعية المضامين وآفاقها)، ورقة علمية ألقيت في الندوة العلمية (الشريعة في أفق إنساني: الثابت والمتحول)، المنعقدة في مدينة الرباط المغربية عام 2015م، الناشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، ص10-11، وللمزيد تراجع الورقة المنشورة على الرابط الآتي: https://www.mominoun.com/pdf1/2017-01/khittab.pdf

([37]) كلمة (قِيَمة) جاءت في معاجم اللغة العربية بمعان عديدة؛ منها:

1/ "من القيام، وهو نقيض الجلوس، ويأتي بمعنى الوقوف والثبات، وكلّ من ثبت على شيء، وتمسك به فهو قائم عليه". (محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح. إبراهيم الترزي، دار التراث العربي، الكويت، 2000م، ط1، ج33، ص308).

2/ "من القَوَام، وهو حسن الطول والقوام، يقال: رجل قويم وقوّام، أي حَسَن القامة، ويقال: خلق قَيِم، أي خُلُق حَسَن". (ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج12، ص499).

3/ "بمعنى المحافظة والإصلاح". (ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص497).

([38]) جابر قميحة، مدخل إلى القيم الإسلامية، دار الكتاب المصري، ط1، القاهرة، 1984م، ص41.

([39]) سورة العصر، الآيات: 1- 3.

([40]) سورة الإسراء، الآية: 70.

([41]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996م، المجلد الخامس، 294/10.

([42]) الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 12/21.

([43]) ينظر: عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص35.

([44]) محمد أديب كلكل، الفقه المبسط، ، مكتبة الدعوة، حماة، سوريا، ط4، ص 112.

([45]) ينظر: ماجد الجلاد، تعليم القيم وتعليمها تصوّر نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدرب القيم، دار المسيرة، عمان، 2005م، ص 94 .

([46]) سورة الجمعة، الآية:2.

([47]) ابن القيم، الفوائد، تح. عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، 1994م.

([48]) سورة الأعراف، الآية:199.

([49]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996م، 344/7.

([50]) الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين، تح. عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 149.

([51]) الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تح. أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط2، 1987م، ص 92.

([52]) سورة الروم، الآية: 29.

([53]) سورة آل عمران، من الآية:19.

([54]) سورة آل عمران، الآية:84.

([55]) سورة آل عمران، الآية: 104.

([56]) ينظر: عمر حابس أحمد نوافلة، الخطاب الدعوي في القرآن الكريم، ص 15119، على الرابط الآتي:
https://bfsa.journals.ekb.eg/article_6745_e7b8a6e3cd308fb5a1af2b3727e2f5be.pdf

([57]) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح. محمد عبدالسلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م ج1، ص70.

([58]) الشاطبي، الموافقات، تح. أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1997م، م4، ص189.

([59]) توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1990م، ص121.

([60]) سورة النحل، الآية:125.

([61]) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، ص677.